

الحكم الذاتي في المدرسة

للأستاذ السيد يعقوب بكر

— ٢ —

التلاميذ كل سنة من فرقة إلى فرقة أعلى بصحبها في كثير من الأحوال تغيير مستمر في أعضاء الحكم الذاتي وهناك مجال نالك للحكم الذاتي هو تلك الجمعيات التي يؤلفها التلاميذ قاصدين بها إلى ممارسة وجوه من النشاط تضيق عنها جدران المدرسة كالجمعيات الأدبية والجمعيات التمثيلية وجمعيات فلاحية البساتين وجمعيات التصوير وغيرها

وأخيراً يمكن أن نجعل من المدرسة كلها مجالاً للحكم الذاتي . ولكن هذا لا يمكن أن يتأتى بسهولة إلا إذا كان تلاميذ المدرسة لا يزيدون عن أربعين طفلاً أو خمسين فهذه هي المجالات التي يمكن أن يتخذ منها الحكم الذاتي مسرحاً يمثل عليه دوره . على أننا لا نحب أن نترك هذه المسألة قبل أن نتناول الحكم الذاتي في الفصل بشيء من التفصيل . فنحن نريد أن نقول إنه ليس من الضروري في كل الأحوال أن يمتد الحكم الذاتي إلى نطاق الفصل . وبيان ذلك أنه إذا كان ثم عداً متوارث بين التلاميذ من جهة والمدرس والمدرسين من جهة أخرى ، وإذا كانت حياة التلاميذ خارج المدرسة حياة يتناولها العسف والاضطراب ، فإن الحاجة تكون حينئذ ماسة إلى

ولنتكلم الآن عن مجالات scopes الحكم الذاتي فنحن يمكننا أن نعتبر البيت في المدرسة الداخلية أحسن مجال يمكن أن يصطغ فيه الحكم الذاتي . فإلبيت من جهة أضيق من أن يعجز بعض أفرادها عن تدير أمره تديراً محكماً ، والحياة فيه تقدم أكبر قدر من وجوه النشاط المختلفة التي يمكن للتلاميذ أن يتخذوا منها ميداناً لتديريهم وتنظيمهم وهناك مجال آخر من مجالات الحكم الذاتي هو الفصل المدرس class or form . والمآخذ على هذا المجال تتلخص في أن الأغراض التي يرى الفصل إلى تحقيقها أولاً وقبل كل شيء تخرج من مجال الحكم الذاتي كثيراً من نواحي حياة الأطفال الاجتماعية التي هي ألسن بهم ؛ وفي أن انتقالات

الحياة ، وإنها من الله ، وأنه لا شيء سواها ، ولا أحد سواه خذ نفسك أيها المريض بيقين الشفاء ، وجسمك بصحيح العلاج ، ثم اصبر فإن الله كما قضى لك بما تحب منه ، يقضى عليك أن تصبر له على ما يحب فيك ...
ركن عبده وألق القيادة لحكمه

وهو الله يمتحن الطبيب بالمريض ، ليس ليعلم قدر عمله ، إذ فوق كل ذي علم عليم ، وإنما ليسأله الواجب الذي ارتضاه لنفسه ، والمهمة التي أقسم عليها ، ليس هو الذي اختار المهنة التي يعمل لها ؟ إلى الأطباء إذن أيها المرضى . لا تسألوم الشفاء ، وإنما أسألوم وسيلتهم إلى الشفاء — أن يكونوا لكم أصدقاء ، بل ونعم الأصدقاء

إن الطب تخمين ، والإنسانية يقين ، و« الحكيم » البصير يسير بينهما وهو آمن وأمين . إذ شتان بين طالب الله وطالب من الله ...

إن الرحمة لم ترفع بعد من الأرض إلى السماء ، أيها المرضى وأيها الأصحاء ...

فن كان له قلب فله الرضا من كل شيء ...

رشد رستم

(بحيرة فارون)

يتقدم المريض إلى الطبيب وهو يود أن يكون له كل ما يريد تلك ظاهرة من ظواهر المرض لا تخفى على أحد غير أنها قد تفوت على من لا يجب أن تفوت عليه ، نعم تفوت على الطبيب ، تمر عليه دون أن يقيم لها وزناً — هنالك يختل ميزان الإنسانية ، لأنه بيد الطبيب ، ولا يعود المريض ، ولا غير المريض ، يرى في الطبيب ذلك الهيكل القدسي الذي يقصد إليه ليلقى بالروح والجسد بين يديه ...

ولكن المريض كالتريق ، يتعلق بكل ما يرى وما يجد — إذن فيا رحمة الله اهبطي على قلب الطبيب ! ويا سكينته أنزلي على قلب المريض ، ويا الله أنطف بهذا الإنسان ، وهذا الإنسان ...

وهكذا لن يستطيع المريض أن يفر من رحمة الله ، فقد وسمت رحمته كل شيء ، وإلى أي النواحي أنجه ، وإلى أي المؤسسات قصد ، ففي رحمة الرحمن البر والرضا والأمان

وإن لله الحكمة بين الناس في دنيا الأمراض ، إذ بولد ابن آدم وليس عليه غير الصحة والعافية ، حتى إذا استلها أخذ يخصمهما لأغراض في الحياة مدى الحياة ، ثم يذهب وقد ذهبت عنه الصحة والعافية وأغراض الحياة ...

وإن في المرض لآية يدرك بها المرء معنى الصحة ، وإنها هي

أن يشار كواخي عملية الحكم الذاتي ، ولكن على شرط ألا يكون عددهم كبيراً جداً . وهنا يفترق نظام الحكم الذاتي عن نظام العرفاء الذي يُخضع التلاميذ الصغار لسلطة التلاميذ الكبار . ويجب أن يعتبر الحكم الذاتي وسيلة يعاقب بها التلاميذ بعضهم بعضاً . وعلى ذلك فيجب ألا يكون العقاب إلا حين يكون من ورائه صوت لقوانين الحكم الذاتي من أن تُنقض ، تلك القوانين التي شرعها التلاميذ أنفسهم وقصدوا بها إلى ما فيه الخير لهم جميعاً . على أن هذا العقاب يجب أن يكون خالصاً من الغلّ مبرأً من الضغينة . فالقوة إذن سناد لقانون الحكم الذاتي في مجتمع التلاميذ كما أنها سناد القانون في المجتمع الكبير . ولكن كلما قوى شعور التلاميذ بما فيه مصلحتهم العامة فإن الحاجة إلى العقاب تقل .

وهنا يأتي الكلام عن مسألة من أهم مسائل الحكم الذاتي : فيجب ألا يتطرق إلى الأذهان أن نظام الحكم الذاتي يرفع عن عاتق ناظر المدرسة ومدرسيها مسؤولية التأديب ، فهو على العكس من ذلك يزيد من مدى هذه المسؤولية ؛ وذلك لأن عملية الضبط لا ترمى حينئذ إلى حفظ النظام order فقط بل إلى غاية تربوية كذلك . ومعنى هذا أن عملية الضبط في هذا النظام لا تقصد مباشرة إلى مجرد حفظ النظام ، وإنما هي تقصد عن طريق غير مباشر لا إلى منع النظام من أن يتطرق إليه العبث ويخترمه الخلل . وإنما تصطنع عملية الضبط هذا الطريق غير المباشر لتكفل للغاية التربوية التي يرى إليها الحكم الذاتي أن تتحقق ، وما هذه الغاية التربوية إلا إفساح المجال لشخصيات التلاميذ حتى تنمو وترعرع .

ولكن هذا النوع من الحرية لا يرضى به دعاة التحرير Emanclpationists . فهم يقولون إنه ليس إلا مسخاً للحرية ؛ ذلك لأنه يفرض على التلاميذ ما يريد به المدرس ، فإذا أراد هؤلاء أن ينطلقوا مع سجيبتهم فيما يفعلون فإنهم سرعان ما يعوقون . وإنما ينادى دعاة التحرير بحرية خالصة من القيود ينطلق معها التلاميذ أينما يريدون فيقعون فيما يقعون فيه من أخطاء وبما لجون هذه الأخطاء كما يحبون

قدر من الحكم الذاتي يتناول الفصل . أما إذا كانت العلاقة بين التلاميذ والمدرسين علاقة تسودها المودة والصفاء ، وكان التلاميذ من جانبهم يميلون إلى التعلم ، وكانوا يتمتعون بقسط وافر من الحرية خارج المدرسة ، فمن المشكوك فيه حينئذ أن يكون الحكم الذاتي شيئاً ضرورياً مرغوباً فيه

كذلك لا يجب أن تترك هذه المسألة قبل أن ننبه إلى أن وجوه النشاط في داخل المدرسة مرتبطة أشد الارتباط بوجوه النشاط في خارجها وأن الحكم الذاتي في خارج الفصل لا يمكن لهذا السبب أن يتم له النجاح إذا كانت الأمور في الفصل تجري على قواعد بالية عتيقة

وليس للحكم الذاتي نظام خاص صالح لكل الأحوال ، وإنما هو يتكيف بحسب الحالة التي يوجد فيها ، فالسن ، والجنس وتقاليد المدرسة ، وشخصية المدرسين ، وطبيعة البيئة التي يأتي منها التلاميذ ، والنمط الاجتماعية التي يُرمى إلى تحقيقها - كل هذه يجب أن تترك في الحكم الذاتي أثرها وتكيفه وفقها .

وأنا أعتقد أن قيمة الحكم الذاتي تزيد وأن مجاله يتسع إذا أمكن أن نبت فيه روحاً اقتصادية . وذلك يكون بإعطاء التلاميذ في كل أسبوع قدرًا معينًا من المال يستطيعون به أن يدبروا الأمور المالية المختلفة التي كان يقوم بها من قبل مدبرو شئون المدرسة . فيستطيعون مثلاً أن يشتروا ما هم في حاجة إليه من الأقلام وأقلام الرصاص ، وأن يشتروا الجرائد اللازمة للمكتبة ، وأن يشتروا جميع الأدوات اللازمة للألعاب games سواء أكانت داخل المدرسة أو خارجها ، وأن يشتروا حاكياً أو منديعاً ، وأن يؤثثوا غرفة هادئة للطالمة ، وأن يقوموا بالرحلات الخ . وكل هذا يستدعى بالطبع وجود مصرف في المدرسة يودع فيه ما يُعطاه التلاميذ من مال ، ويقوم على تدبير أمره أحد هؤلاء التلاميذ . وكل هذا يستدعى أيضاً أن تقدم اللجان المختلفة ميزانياتها ، وأن تفحص هذه الميزانيات لجنة مالية مختصة لتقرر ما تراه .

وقد يكون من بين التلاميذ الذين يصطنعون الحكم الذاتي - ومعظمهم من غير شك قد بلغ سن الشباب - بعض التلاميذ الذين لم يبلغوا هذه السن بعد . فهؤلاء التلاميذ الأحداث يمكنهم

أن نفوس تلاميذه تنطوي على حكمة كثيرة نجباء، أو على صفات أخرى تستحق أن يكبد في سبيل إمامة اللثام عنها ، وهو يجب أن يكون ذا عقل واسع الثقافة ، وشخصية منسجمة الأطراف متوافقة الأنعام ، وقدرة على التنفيذ ، وهو يجب أن يجمع إلى هذه الخصال كلها حباً للأطفال يلهبه الحماس ، ولكن الحماس الذي يخفف من حدته الحذر ويبعد غوره التبصر

وزيد الأستاذ ما كاي على ذلك ، فيقول إن الربى يجب أن يشعر تلاميذه بأن نجاحهم ونجاحهم فقط هو الهدف الأسمى للربى ، وأنه ما وجد إلا للوصول إلى هذا الهدف . وعلى ذلك يجب أن يحملهم باستمرار على أن يهدفوا نحو شكل من أشكال الكمال هو في الحقيقة أبعد من أن يتناوله ذرعهم ، وأن يشمرهم بأنهم إن فشلوا في الوصول إلى هذا الكمال فلسوف يستطيعون فيما بعد أن يحاولوا محاولات أخرى تحدوها خبرة أوسع

والربى كذلك يجب أن يوفق بين نواحي الضعف في الربى ونواحي القوة ، فيعطى من هذه لتلك ليصل بالربى في آخر الأمر إلى حال من التوازن قائمة على تعاون ملكاته وتواصلها وصفوة القول أن نظام الحكم الذاتي يتطلب وجود الربى ليلعب فيه دوره الهام .

السبب يقرب بك (للحدث بقية أخيرة)

على أن الأستاذ جون آدسن لا يرتضى مذهب هؤلاء . فهو ينادى بأن تكون للمدرس السلطة العليا ، تلك السلطة التي تحفظ على جماعة التلاميذ صالحها العام الذي قد تودي به الحرية المتطرفة . أضف إلى ذلك أن الحياة الواقعية حياة مفعمة بالقيود : القيود العامة التي تغلنا بها الحياة في المجتمع ، والقيود الخاصة التي يغلنا بها من تخضع له أو من تخضع لهم . فإذا كان التلاميذ لن يواجهوا في المستقبل حياة خالصة من القيود ، فأحربهم أن يعودوا منذ الصغر الخضوع لسلطة صرب أو مربية يقصد كل منهما إلى تهئية ظروف المدرسة بحيث تكفل لسلك التلاميذ وشخصيتهم التمرع والنماء

ويرى الأستاذ أسيورن Osborne أن تقسم السلطة مناصفة بين الناظر والمدرسين من جهة والتلاميذ من جهة أخرى . وهو يعتقد أن هذا التقسيم لا يضير نظام الحكم الذاتي في شيء . فالناظر مثلاً يمكنه أن يفرض على التلاميذ مزاولة الألعاب الرياضية في أيام معينة من الأسبوع ، ثم يترك لهم توزيع ضروب هذه الألعاب على هذه الأيام ، فيجملون هذا اليوم للكريكيت cricket وذلك للكشف وهم جرا . على أنه لا يمكن فصل هاتين السلطتين فصلاً تاماً ، فيجب على الناظر والمدرسين أن يصغوا إلى ما يوجهه لهم التلاميذ من نقد ، وإن كانوا يملكون حتى إهمال هذا النقد

وقد عرض الأستاذ جردن ما كاي A. L. Gordon Mackay لهذه المسألة ، فقال إنه لا يمكن أن يتحقق نظام الحكم الذاتي من غير وجود الربى . ولكي يبين صحة ذلك انتقل إلى وظيفة الربى ، فقال إنها تتلخص في العمل على نشر القدرة Ability النظرية ، ثم العمل على تنمية قدرة تلاميذه جماعة وأفراداً . فالربى أولاً مرشد وفيلسوف وصديق ، وهو إلى ذلك ناصح أمين في كل ما يتعلق بالدروس والاجتماعات وسائر وجوه النشاط في الفصل .

على أنه يجب أن يتصف بصفات معينة تعينه على أن يكون كذلك ، وهذه الصفات ليست إلا صدى للملاقة التي تربطه بالتلاميذ . فهو يجب أن يشق بأنه قادر على معاونة تلاميذه على نشر مواهبهم الكامنة ، وهو يجب أن يعتقد

سينما ستوديو مصر

البرنامج ابتداء من الإثنين أول مارس سنة ١٩٤٣

شركة ر.ك.و. روبر تقدم

شارلز لوتن - جون هول

بيجي دريك

في الفيلم الطريف

« جزيرة الأحلام »

حفلات يومية